ميشيل أوباما

....

.....

في عام 1981 تقدَّمت سيدة من جنوب الولايات المتحدة إلى جامعة برنستون المرموقة بمجموعة من الشكاوى الغاضبة، تعترض فيها بحدة على تسكين ابنتها الطالبة بالجامعة في غرفة مشتركة مع طالبة سوداء البشرة. وبعد أيام قليلة نجحت الأم في نقل ابنتها ذات البشرة البيضاء إلى غرفة أخرى، وبعد ثمانية وعشرين عاماً نجحت الطالبة السوداء "ميشيل روبنسون" في أن تصبح أول أمريكية من أصل أفريقي تنتقل للسكن في البيت الأبيض لغرض آخر غير تنظيفه، فهي قد أصبحت "السيدة الأولى" ميشيل اوباما.

إن الرمز التاريخي لحمل ميشيل هذا اللقب أعمق في جذوره من رمزية فوز باراك اوباما نفسه برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية. فصحيح أن باراك أسود البشرة، إلا أن جذور عائلته لا تتقاطع مع التاريخ البائس لأجيال الأمريكيين السود الذين عانوا مذلة وشقاء العبودية ومرارة الفصل العنصري. فهو في النهاية "نصف أبيض"، وقد تربى في أحضان أسرة أمه البيضاء، في حين تقع جذور والده الأسود خارج الدائرة الأمريكية أصلاً لكونه أجنبي من كينيا. على الجانب الآخر فإن زوجته السيدة الأولى على وعي تام بأنها سليلة عبيد أحد مزارع الأرز بولاية كارولينا الجنوبية، وأن انتقال جدها إلى مدينة شيكاجو في أوائل القرن العشرين كان جزءاً من "الهجرة الكبرى" من الجنوب إلي الشمال التي قام بها الملايين من السود في ذلك الوقت. وكانت ميشيل الطفلة عمرها سنتين حين مرت مسيرة مارتن لوثر كنج بمدينتها عام 1966 ضمن حركة الحصول على الحقوق المدنية للأمريكيين السود. لذلك فإن تاريخها الشخصي هو التجسيد الأصدق للجانب المؤلم من تاريخ العنصرية الأمريكية الذي لا يود معظم الناخبين الأمريكيين تذكره، خاصة وأن أصداءه لا زالت تشكل جزء من الواقع الذي تعيشه الأقليات السوداء في المجتمع الأمريكي الآن.

وَصفها باراك بأنها "الصخرة" التي يرتكز عليها..
فهل شكلت الصخرة عقبة في طريقه ؟

لم تتعرض زوجة مرشح رئاسي في أمريكا لكمية الفحص والتمحيص الإعلامي والسياسي التي تعرضت له ميشيل اوباما طوال الحملة الانتخابية. ففي فبراير 2008 ثارت ضدها زوبعة من الانتقادات لأنها قالت أنها تشعر لأول مرة بالفخر الحقيقي ببلدها. وبسرعة فسر الخصوم مقولتها على أنها لا تحب الوطن وليس لديها الولاء

الكافي لأمريكا. ووجدتها سيندي مكاين زوجة المرشح المنافس فرصة للمزايدة عليها بأن تصرح أنها لم تتوقف لحظة عن الشعور بالفخر بأمريكا، بينما دافعت لورا بوش عن ميشيل بنبل قائلة أنها كانت تقصد أنها الآن أكثر فخرا. وظل الخصوم يرددون أنها صورة للمرأة السوداء الغاضبة، التي تشعر بمرارة الماضي وتوجه رسالة سلبية بالمقارنة برسالة باراك أوباما المفعمة بالإيجابية والتفاؤل بالمستقبل.

ثم تعرضت ميشيل لنوبة أخرى من النقد، بل وعلى أيدي الصحافة المؤيدة لباراك اوباما، بسبب ما قالته في أحاديث عن زوجها بأنه "مجرد رجل" يتعثر في وضع جواربه في الغسيل، وينسى أن يدخل الزبد في الثلاجة .. وأنه لا يجب تأليهه. فقد هاجمتها أقلام ترى أنها تقلل من شأن زوجها الرئيس المنتظر وتنتقص من رجولته وهي توبخه هكذا في العلن مثل طفل صغير. حتى أن باراك طلب من الصحافة أن تكف أيديها عن زوجته قليلاً.

ولكن من الناحية الأخرى، كسبت ميشيل أوباما بتصريحاتها هذه تأييد وحب كثير من السود وكثير من النساء أيضاً، الذين وجدوا في شخصيتها نموذج طبيعي للمرأة الأمريكية السوداء القوية، التي لا تهاب الحديث بصراحة وواقعية ولا تخاف الفكاهة والمزاح، خاصة وهي ذكية ومتعلمة في أرقى جامعات أمريكا. بل أن شخصية ميشيل وخشونتها النابعة من الثقافة الخاصة للمجتمع الأسود كانت عنصر أساسي لنجاح أوباما وتأسيس شرعيته بين الأمريكيين السود الذين لم يجدوا فيه هو خشونة الرجل الأسود النمطية. فكثير من السود نظروا لباراك اوباما بنوع من الشك وعدم الثقة في كونه يمثلهم، متهمينه بأن هويته ليست سوداء بالدرجة الكافية، أو بالتعبير الشعبي: "أوريو"، وهو اتهام لا يمكن أن يوجه إلى ميشيل.

ما هوالأوريو؟ وما علاقته بأوباما ؟

في لغة الشارع الأمريكي وخاصة بين أوساط السود، يقال عن الشخص الأسود المراد التشكيك في انتمائه للهوية والثقافة السوداء بأنه " أوريو" . واوريو هو الاسم التجاري لنوع شائع من انواع البسكويت بالشيكولاتة السوداء المحشوة بالكريمة البيضاء. هكذا قد يتعرض الأمريكي الأسود للتمييز المزدوج من جانب بعض السود لمجرد انه يتصرف ويتحدث بأسلوب غير أسلوبهم أو لانه مهتم بالنجاح العلمي في الجامعة ...إلخ. فهو أسود من الخارج ولكنه يحمل شخصية أبيض من الداخل ويتعالى على طريقة حياة السود. وقد عانى باراك أوباما من تلك النظرة إليه من جانب بعض جماعات السود.

إن ميشيل أوباما تستطيع في حديثها النفاذ مباشرة للأمريكيين السود بطريقة لو قام بها باراك أوباما لخسر تأييد الشعب الأمريكي بأغلبيته البيضاء وأقلياته الأخرى التي وجدت فيه من يمثلها في كليتها، بل وكان سيلاقي الفشل الذي واجهه القس جيسي جاكسون الذي اعتبروه صاحب رؤية قومية انفصالية لصالح السود.

لهذا لعبت ميشيل أوباما دورا أساسيا وحساساً للغاية في حملة أوباما الانتخابية، ونجحت إلى جانب ذلك في الحصول على الاحترام والإعجاب بتزايد من مختلف القطاعات في المجتمع ولأسباب مختلفة: مثل اختيارها لملابسها، وثقتها بنفسها، وطلاقتها في مخاطبة الجماهير، وعمق العلاقة بينها وبين زوجها واحترامه لها، وصورتها كأم عصرية مثقفة تعمل وتوازن بين عملها وأسرتها، حتى أن الممثلة والمذيعة الأمريكية ووبي جولدبرج قدمتها لمشاهديها قائلة أن ميشيل أوباما تكسر الصورة النمطية عن الأمريكية السوداء التي لا تظهر على شاشة التلفزيون إلا وكانت امرأة سمينة وفقيرة وجاهلة، لا تستطيع أن تتفوه بجملة سليمة وفي الغالب أسنانها ناقصة أو تطل أسنان ذهبية من فمها.

نعم. إلى هذة الدرجة تعد ميشيل أوباما بشخصيتها الواثقة وثقافتها الرفيعة نموذجاً مختلفاً، ومثل أعلى جديد للفتيات الصغيرات من السود الاتي لا يرين أمامهن طريقاً للنجاح والشهرة غير الغناء والرقص بإيحاءات جنسية مفرطة. ولكن لم تأت تلك الصلابة والتمكن من فراغ، بل سبقتها قصة كفاح شجاعة بدأت منذ أن كانت ميشيل لا تزال فتاة صغيرة.

<u>ميشيل الفتاة</u>

نشأت ميشيل روبنسون في منزل صغير مكون من حجرتين في جنوب مدينة شيكاجو، وتربت في أسرة مستقرة مكونة من أب يعمل في محطة مياه وأم تفرغت لرعايتها هي وأخيها الأكبر. ولم يكن معتادا بين طبقة العمال أن تترك أم عملها للتفرغ لبيتها، ولكنها أحسنت رعاية طفليها وعندما دخلت ميشيل المدرسة كانت قد تعلمت من أمها القراءة والكتابة. كذلك فإن والدها كان عضوا في الحزب الديموقراطي، وكان هادئ الطباع ومحبا لأسرته.

كانت ميشيل تذاكر كثيرا ولكنها لم تظهر براعة مثل أخوها الذي برع في الرياضة البدنية والتحق بجامعة برنستون لهذا السبب. ومع هذا انتقلت لمدرسة ثانوية جيدة تقبل التلاميذ المتفوقين من جميع أنحاء المدينة ولا تقتصر على أبناء الحي الواحد، وبالتالي كان بها خلطة طبقية وعرقية جيدة. وانتخبت ميشيل أمينة الصندوق في تلك المدرسة،

في عامها الأخير أدهشت الجميع بالتقدم للالتحاق بجامعة برنستون، ثم بقبولها طالبة هناك.

سنوات برنستون ورسالة التخرج "الملغومة"

بالرغم من قبولها طالبة، إلا أن برنستون لم تستقبل ميشيل بالأحضان بل تلقت الشابة الصغيرة عدة صدمات منذ انضمامها للجامعة وليس أبلغ من الموقف الذي تعرضت له من زميلتها البيضاء التي لم تكن لتقبل مشاركة طالبة سوداء لها السكن. كانت نسبة الطلبة السود في الجامعة لا تتجاوز العشرة بالمائة، وكان بداية السماح لانضمام الإناث للجامعة المرموقة لم يفت عليه سوى سنوات قليلة. شعرت ميشيل بأنها "زائرة" في هذا المجتمع الجامعي سواء بين الطلبة أو الأساتذة. ومهما كانوا متفتحين وليبراليين كانوا يتعاملون معها وكأنها غير منتمية للمكان، فقد كانوا ينظرون إليها بصفتها سوداء أولاً ثم طالبة ثانياً.

درست ميشيل علم الاجتماع والدراسات الأمريكية الأفريقية، وأصبحت بسبب خبرتها الحياتية في الجامعة أكثر وعيا بكونها سوداء، وقررت أنها لو اندمجت أكثر في المجتمع الأبيض سوف تبقى دائماً على الهامش، فكانت تتواصل مع زملاءها من السود وغيرهم من الطلبة الأجانب في مساحة بمبنى "مركز العالم الثالث". وأتقنت ميشيل في الجامعة لغة المثقفين الأمريكيين إلى جانب لغة أبناء جيرتها السوداء التي لم تنساها، فأصبحت تتحدث باللغتين. وفي عام 1985 كتبت ميشيل روبنسون بحث تخرجها عن خريجي جامعة برنستون السود وعلاقتهم بمجتمعاتهم بعد التخرج.

وأثناء الحملة الانتخابية أحدث عنوان هذا البحث زوبعة أخرى، خاصة وأنه كان غير متاحا للاطلاع عليه بطلب من المؤلفة. ولكن قبل أن يتفجر الموضوع، قامت حملة أوباما بإتاحته على شبكة الإنترنت ولم يجد أحد في ما كتبته في رسالتها ما يستوجب الاعتراض، بل أظهرت الرسالة أن ميشيل كانت منشغلة بالمسؤلية التي تقع على عاتق السود من أصحاب الدخول المرتفعة والتعليم العالي تجاه مجتمعاتهم الأقل حظاً.

"الأستاذة" تقع في غرام محام تحت التمرين

بعد تخرجها من برنستون، التحقت ميشيل بكلية الحقوق في جامعة هارفارد. وفور تخرجها عملت قي شركة محاماة تجارية كبيرة بمدينة شيكاجو، حيث نجحت بسرعة وأحبها زملاؤها ورؤسائها، وعرفت بينهم بطموحها الشديد. وخلال عملها بالشركة

طلب منها ذات يوم أن تقوم بتمرين ذلك الشاب العبقري من هارفارد الذي سيعمل معهم خلال فترة الصيف. كان هذا في عام 1989، ووجدته ميشيل ليس فقط شابا ذكيا بل ووسيما أيضا. كل ما يعيبه أن اسمه عجيب بعض الشيئ: باراك أوباما، كما أنها قررت منذ البداية أنها ضد فكرة الخروج مع زملاء العمل. ومع هذا فشلت ميشيل في إبعاد باراك عنها، الذي صمم على دعوتها للخروج معه، حتى إنها حاولت تقديمه لفتاتين من صديقاتها، ولكنها لم تستطع إلا أن تستسلم لغرام أوباما.

وبعد قليل، عرّفته بأسرتها وتوقع أخوها "إقالة" باراك من حياة أخته بسرعة كما تعودوا منها، ولكن ذلك لم يحدث، بل دفعت ميشيل باراك نحو الزواج عندما وجدت فيه شخص مختلف عن غيره، ولديه قدر هائل من الالتزام والشعور العميق تجاه الأشياء، فكان لها ما أرادت وتزوجا في 1992. كان كل منهما مكمل للآخر، هي وجدت عنده رؤية أكثر رحابة وهو وجد عندها الإحساس بالاستقرار.

وإلى الآن، يلاحظ المراقبون (وبخاصة المراقبات) على الزوجان حين يظهران معا في الاحاديث التلفزيونية، وحتى في سيرهما أمام الجماهير ما يدل على عمق علاقتهما وتكافؤها ومدى احترام الرئيس باراك أوباما لزوجته. فحين تتحدث ميشيل، ينظر باراك إليها منصتا باهتمام لما تقول، وحين يسيران، فهما دائما يسيران "معاً" ، لا يسير هو أمامها أو يتخلف ورائها. تقول ميشيل مازحة: "نحن الاثنان محاميان، فحين يريد باراك تحضير نفسه لمناظرة سياسية، يأتي للحديث معي كنوع من التمرين، وبعد ساعة يصبح جاهزاً ."

قرارها الشجاع

توفي والد ميشيل عام 1991 ، وفي نفس العام أيضا توفيت لها صديقة عزيزة، فوجدت نفسها تراجع حياتها وأولياتها من جديد. خرجت ميشيل من تلك التجربة بقرار ترك العمل في مجال المحاماة التجارية بالرغم مما تدره من ربح، والتحول للعمل الأهلي في مجال خدمة المجتمع، وعلى وجه الخصوص في الحي الذي نشأت فيه. وقد شجعها باراك على إتمام تلك الخطوة ، واستطاعا بعد سنوات من التقشف النسبي وبفضل الأرباح التي جناها باراك من نشر كتابه الأول أن يعوضا انخفاض دخلهما بسبب هذا القرار.

وفي البداية، عملت ميشيل أوباما مع الإدارة المحلية لمدينة شيكاجو لمدة عامين في مجال تقديم المساعدة القانونية للمحال التجارية الصغيرة المشتبكة في مشاكل بيروقراطية. ثم وجد لها باراك فرصة للعمل الأهلي المباشر مع الشباب الذين يريدون

التمرس على العمل العام. وأصبحت ميشيل عضوة عدة مجالس إدارات لمختلف الجمعيات والمنظمات. وآخر وظيفة شغلتها كانت نائبة رئيس مستشفى شيكاجو الجامعي، حيث كانت مسئولة عن برنامج قدمت هي فكرته يسمح لأطباء تلك المستشفى المشهورة عالية التكاليف أن يعالجوا المرضى المحتاجين في عيادات الأحياء الفقيرة المحيطة بهم.

وأخيرا تركت ميشيل عملها في العام الماضي للمشاركة بشكل كامل في الحملة الانتخابية الرئاسية لزوجها. ولم يكن واضحا إذا كانت ستعود إلى العمل بعد انتهاء الحملة، ولكنها بالفعل استقالت من وظيفتها.

هجوم النسويات على ميشيل بعد استقالتها وجلوسها في البيت (الأبيض)

تعاطفت الأمريكيات، وبخاصة الأمهات العاملات، مع ميشيل أوباما بعد مشاهدتهن لها تتحدث أكثر من مرة عن معاناتها في موازنة عملها من ناحية وعنايتها بطفلتيها ومنزلها من ناحية أخرى. بل وكتب باراك في كتابه عن غضب زوجته تجاهه بسبب انشغاله المستمر، واعترفت هي أيضاً بشعورها بالإحباط بسبب تزايد انشغاله حارج المنزل، ولكنها خرجت من تلك المرحلة بأن كفت عن الاعتماد عليه في الشؤون المنزلية وقررت تعيين من يساعدها في الأعمال المنزلية، وإلاعتماد على والدتها في رعاية البنات. إلا أنها أصّرت على أن يقوم باراك بأعمال رمزية حين يكون بالمنزل حتى يستمر مثالا جيدا أمام الطفلتين، فيقوم مثلا بإخراج سلة المهملات، وترتيب الفراش، وتشغيل الغسالة.

وقد رأى البعض في أسلوب ميشيل في إدارة حياتها نموذجا تقليديا جدا للزوجة التي ضحت بطموحها من أجل الأطفال بينما لم يقم الزوج بأي تضحية. فميشيل كانت معارضة لخوض باراك انتخابات مجلس الشيوخ، ولكنه نجح في إقناعها. وكانت ضد أن يرشح نفسه للرئاسة ولكنه المتحدث الموهوب أقنعها بذلك أيضا. وحسب الرؤية النسوية فإن هذا يرجع لأفكار ميشيل التقليدية عن توزيع الأدوار بين الرجل والمرأة، فقد كان من الممكن أن تخوض هي العمل العام ويفسح هو وقته لرعاية البنات.

ثم ارتفعت اكثر أصوات النسويات يعربن عن خيبة أملهن في ميشيل أوباما حين أوضحت انها سوف تستقيل وتجلس في البيت "الأبيض" لرعاية انتقال "ساشا" و"ماليا" لواشنطن والاهتمام بهما. بل أكدت ميشيل أنها لا تسعى لأي دور آخر الآن سوى دور الأم. واعتبر الكثيرون أن هذه ردة لميشيل ومن مثلها من خريجات هارفارد وبرنستون،

وأنها كبتت رغباتها الحقيقية مضطرة لتمثيل دور يكسب تعاطف الشعب الأمريكي المحافظ في طبيعته والذي يحب صورة "المرأة العادية" التي تشبه معظم السيدات. ورأى البعض أن هذه خطوة سياسية محسوبة لتجنب الفخ الذي وقعت فيه هيلاري كلينتون، والذي مثّل عبئا على كلينتون خاثة في فترة رئاسته الأولى.

الفرق بينها وبين هيلاري كلينتون:
تخرجت كلتاهما من جامعات مرموقة وعملت كل منهما في المحاماة. ولكن هيلاري قدمت نفسها منذ البداية كمشاركة نشطة لزوجها في صنع السياسات. بل وكان شعار الحملة "رئيسان بسعر رئيس واحد". وقد فشلت هيلاري في برنامجها لإصلاح التأمين الصحي في البلاد، كما لم تحاول أن تظهر أي تفاصيل منزلية خاصة بالأسرة أو أن تلعب أي دور من الأدوار المعتادة لزوجات الرؤساء الأمريكيين. وبالتالي لم تحظ بشعبية كبيرة بين الامريكيين.

ومن جانبها، تحدثت ميشيل أوباما عن موقفها بلهجة واثقة قائلة أن المهنة لا تحدد كيانها، بل أن كيانها يتحدد بما تقوم به في حياتها، وما المهنة إلا أحد الأشياء العديدة التي تقوم بها في حياتها، فهى أم أولاً لأنها تجد طاقتها وسعادتها من أطفالها. وبذلك تكون ميشيل قد عبرت عن الجيل الثالث من النسويات الأمريكيات اللاتي يعارضن تطرف الجيل السابق من الفكر النسوي الذي يضع ترتيبا تفاضليا للخيارات التي تقوم بها المرأة (بمعنى أن خيار العمل أفضل من خيار الأمومة)، في حين ترى النسويات المعاصرات مثل ميشيل أوباما أن المرأة لها اعتبار مهم مستمد من ذاتها كإنسانة حرة وليس مستمدا من الدور الذي تقوم به أيا ما كان هذا الدور.

أزياء ميشيل : لماذا تثير كل هذا الاهتمام ؟

منذ أن ظهرت ميشيل أوباما في دائرة الضوء، انشغلت الناس وأجهزة الإعلام بل وصناعة الأزياء وبيوت الموضة العالمية بكل ما تختار ميشيل أن تلبسه. وهو اهتمام غير عادي وغير مسبوق منذ عهد جاكلين كينيدي التي كثيرا ما تقارن بها من محبيها، ويتهمها خصومها بأنها مقلدة لها أو أنها "تحاكي جاكي" التي كانت وما زالت بمثابة الأيقونة في مجال الأزياء والموضة العالمية.

الفرق بينها وبين جاكلين كينيدي
كانت جاكلين في الواحدة والثلاثين من عمرها حين أصبحت السيدة الأولى (ثالث أصغر سيدة أولى في تاريخ أمريكا)، وكان شبابها ملائما ومعبرا عن فترة الستينيات التي

شهدت ثورة جديدة في كل مناحي الحياة وكل مجالات التعبير الفني ومنها الأزياء. واعتمدت جاكلين على مصمم أزياء واحد فقط لكل ملابسها وهو أوليج كاسيني، وكانت أحيانا تشترك معه في التصميم، فكانت أزيائها مختارة بعناية تكاد تكون مسرحية. وكان من العادي أن يتكلف الفستان الواحد عدة ألاف من الدولارات.

أما ميشيل أوباما، فقد أثارت خيال نقاد الموضة وحازت على إعجاب الناس لتنوع أزياءها واستقلالية ذوقها. فهي تعتمد على نفسها في الاختيار من بين تصميمات عدد كبير من المصممين الأمريكيين المحليين. كذلك تشتري ميشيل كثير من ملابسها من المحال التجارية العادية ومن الإنترنت، وقد ظهرت في لقاء تلفزيوني شهير بفستان لا يتعد سعره مائة وخمسون دولارا.

وقد فسر البعض هذا الاهتمام بأنه راجع لصغر سنها النسبي (أربعة وأربعين عاما) بالنسبة لزوجات الرؤساء الأمريكيين في العقود القليلة السابقة، ويقول البعض الآخر أنه راجع لطولها الفارع الذي يضفي الجلال على الأزياء ويظهر أناقتها. وببساطة ممكن القول أن أزياء ميشيل لها شخصية مميزة جذبت الاهتمام لأن لميشيل شخصية مميزة تجذب الاهتمام، بالإضافة إلى ارتباطها برئيس "جديد" للولايات المتحدة وعد بلاده بأن يكون رمزا للتغيير، ووعد العالم بأن يكون بداية لمرحلة مختلفة.

هديل غنيم